جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

المحاضرة رقم 13 في مقياس مجالات العلوم الاجتماعية

مقدمة من طرف د. سمير قريد أستاذ محاضر أ إلى طلبة السنة الأولى علوم اجتماعية

أهم رواد ونظريات العلوم الاجتماعية: ماكس فيبر ونظرية الفعل الاجتماعي

يعد ما كس فيبر من أهم السوسيولوجيين الألمان الذين أخذوا بنظرية الفعل الاجتماعي، وهدف السوسيولوجيا عند ماكس فيووبر هو فهم الفعل الاجتماعي وتأويله، مع تفسير هذا الفعل المرصود سببيا بربطه بالآثار والنتائج. ويقصد بالفعل سلوك الفرد أو الإنسان داخل المجتمع، مهما كان ذلك السلوك ظاهرا أو مضمرا، صادرا عن إرادة حرة أو كان نتاجا لأمر خارجي. ومن ثم، يتخذ هذا الفعل – أثناء التواصل والتفاعل – معنى ذاتيا لدى الآخر أو الآخرين، مادام هذا الفعل الاجتماعي مرتبطا بالذات والمقصدية. أي: الإجابة عن سؤال جوهري ألا وهو: كيف يرى الناس سلوكهم ويفسرونه؟ بمعنى أن " الفعل الإنساني عند فيبر هو السلوك الذي يحمل دلالة ومعنى وهدفا. وأما الفعل المجتمعي، فهو السوك الذي يسلك تجاه الآخرين من خلال ما يراه، في سلوك الآخرين، من دلالة ومعنى وهدف **(جميل حمداوي، 2015: 56)**.

وبذلك يمكن القول إن فيبر كان يركز على ثلاثة محاور في السوسيولوجيا الفهمية هي الفهم التفسيري، والإسناد السببي، وأهمية المعنى، ومن أجل مزيد من الدقة والعلمية، فإن فيبر خلق آلية مهمة وهي النماذج المثالية، وهي بنيات ضرورية تسمح بإضفاء الوضوح على الظواهر الاجتماعية، وهي وسائل وليست غايات تقوم بتحليل وضعية كارثية ما، ووظيفتها هي الإسناد الافتراضي لتطور مثالي، أي التفكير في التعددية الفوضوية للظواهر الفردية، وبالنسبة إلى فيبر، فالنماذج هم مثاليون، فمن جهة هم يهدفون إلى تحسين الفكر المنطقي، ومن جهة ثانية هم نتيجة ثانية هم نتيجة لأفكار متعددة، أي إنهم عبارة عن إطار مميز من الفكر، ومن هذه الأفكار يمكن تحديد حركة الأفراد والجماعات من خلال عوامل وآليات في الواقع المشاهد **(إكرام عدنني، 2013: 29)**.

شكلت مساهمة **ماكس فيبر** مرجعية أساسية بالنسبة للعديد من علماء الاجتماع الذين تناولوا الظواهر الاجتماعية باعتبارها نموذجا من الفعل الجماعي كالظاهرة الجمعوية مثلا، خصوصا أولئك الباحثين الذين يندرجون ضمن براديجم المنفعة.

ميز **فيبر** بين نمطين أساسيين من العلاقات الاجتماعية: نمط الجمعنة، ويشير هذا النمط من العلاقات الاجتماعية إلى الحالة التي يتأسس فيها الاستعداد للنشاط وللفعل الاجتماعي على الإحساس الذاتي للمشاركين بالاعتماد إلى نفس الجماعة.

بينما تحيل نمط الجماعية إلى شكل من العلاقات الاجتماعية يتميز بكون الاستعداد للنشاط أو الفعل الاجتماعي يتأسس على تسوية أو تراض بين المصالح المحفزة عقليا، أو على تنسيق بين مجموع المصالح المحفزة بنفس الكيفية **(بوخريص فوزي، 2013: 58)**.

يستخدم النمط المثالي عند ماكس فيبر في فهم الفعل الاجتماعي وحتمياته، ويحمل هذا الفعل معنى ما، مادام موجها نحو الغير. ومن ثم، فهذه الأفعال أنواع وأنماط، فهناك أفعال غير واعية أو أقل وعيا، وأفعال اجتماعية، وأفعال أكثر وعيا، وأفعال أكثر اجتماعية على الشكل التالي:

❶**الفعل التقليدي:** ينبني هذا الفعل على العادات والقيم والأعراف والتقاليد، فالأنشطة اليومية، مثل: الأكل بشوكة أو المصافحة بالأيدي تتأتى من الفعل التقليدي.

❷ **الفعل الوجداني أو العاطفي:** هو ذلك الفعل الذي توجهه العواطف. وبالتالي، فهو فعل غير عقلاني. مثل: عقاب الأم لابنها بطريقة عاطفية وانفعالية.

❸ **الفعل الأخلاقي العقلاني:** هو فعل يتجه صوب القيم، له درجة عالية من الوعي، ويرتبط بهدف ما ضمن نظام القيم، مثل: ربان السفينة الذي يغرق مع سفينته، حين استحالة إنقاذها (فعل التضحية).

❹ **الفعل العقلاني الهادف:** يرتبط هذا الفعل بالتخطيط والترشيد العقلاني والتدبير الجيد.أي: يخطط قبل التنفيذ، ويقارن بين الوسائل المتاحة قبل العمل للوصول إلى أهدافه المرجوة، ويحلل النتائج المتوقعة الناتجة عن هذا الفعل المرتقب. مثل: الإستراتيجية العسكرية أو الاقتصادية أو الإدارية **(جميل حمداوي، 2020)**

يمكن أن نلاحظ على الفعل الاجتماعي بعض الانتظامات الفعلية، أي تتكرر بنفس المعنى النمطي المقصود لدى الفاعل، أو يمكن أن تتخذ (في نفس الوقت) مسارات شائعة لممارسة الأفعال لدى الأفعال لدى عديد الفاعلين، ويهتم علم الاجتماع بهذه الأنماط من مسارات الفعل، وذلك على العكس من طبيعة

التاريخ، فالاهتمام الأكبر عن المؤرخين ينصب على الارتباط السببي للفعل باعتباره العامل الحاسم في التأثير على الوقائع المتفردة **(ماكس فيبر، 2011: 59)**.

أما المنهج عند فيبر، فإنه ينهض على ركيزتين: المثال ونسق المعنى، فالمثال يقوم على النظر إلى المجتمع على أنه كل يفقد سماته المميزة عند تحليله أو تفتيته إلى أجزاء، وإذا كان التحليل الذري يصلح في العلوم الطبيعية، فإن الإدراك الحدسي وضرورة النظر إلى الموضوعات على أنها كليات هو الذي يصلح في العلوم الإنسانية، ويتضمن مصطلح المثال معنى النموذج العقلي، أي أداة تصورية ومنطقية، وتحمل صفة مثالي معنى الاستعانة بالنموذج العقلي في دراسة حالات واقعية تجري مقارنتها بالخصائص التي يتصف النموذج بها **(فؤاد خليل، 2008: 65)**.

يعتقد ماكس فيبر أن العلوم الاجتماعية والتاريخية لها خصائصها المميزة لأنها تهتم بالمعاني، وهذه المعاني تختلف من فرد إلى آخر، ومن جماعة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر، بينما تعالج العلوم الطبيعية ظواهر متماثلة تخلو من المعنى، فالفهم عند فيبر هو فهم فكري وتحليلي وتفسيري تنبئي للسلوك وليس مرادفا للحدس التعاطفي الغامض، ويعتقد فيبر بذلك تحقيق هدفين هما:

1- أن الفهم يمكننا من معرفة الأسباب التي تؤدي إلى حدوث الظواهر الإنسانية (تفسير سلسلة من الأحداث في ضوء تعميمات تكشف إمكانية ظهورها في مواقف متعددة).

2- أن الفهم يمكننا من إدراك المعاني الذاتية التي تنطوي عليها الأفعال الإنسانية (يبنى على حقيقة مؤداها أن الكائنات الإنسانية على وعي مباشر بأفعاها) **(عبد الله ساقور، 2009: 43-44)**.

وبالمجمل، اجتهد فيبر كمؤرخ، رجل قانون واقتصاد، قبل كل شيء في تحرير علم الاجتماع من هيمنة التاريخ، يؤكد فيبر أن موضوع العلوم الاجتماعية هو الفعل الإنساني، على قدم المساواة مع الطبيعة، لكن السببية عنده ليست موضوعية، لأنها تقحم معنى الظاهرة، أي معناها بالنسبة للوعي-الفردي والجمعي- وبالتالي فإن السببية في العلوم الاجتماعية هي ضرورية، بهدف إجراء الإسناد وإعمال المعاني. كما برهن على اكتشاف سببية صارمة، فالنشاط الإنساني، بالنسبة لـ فيبر، هو ظاهرة اجتماعية، وذلك بفعل المعنى الذاتي الذي يحمله الفرد، وهو يأخذ بالحسبان، تصرفات الآخرين، ويتأثر بها خلال حدوثها، وقد وظف فيبر، مصطلح الفهم (Compréhension) كأداة منهجية، في دراسة السلوك البشري، فالفهم الذاتي للسلوك الإنساني، يعني أن الباحث عليه أن ينفذ إلى الدوافع، المعاني، القيم والمقاصد التي تكمن من وراء السلوك البائن، وذلك بأن نضع أنفسنا – ولو تخيليا-مكان الآخرين **(بوبكر بوخريسة، 2009: 278-279)**.

المراجع

1- إكرام عدنني (2013). **سوسيولوجيا الدين والسياسة عند ماكس فيبر**. بيروت: منتدى المعارف.

2- بوخريسة بوبكر (2009). **مفاتيح وأعلام في علوم المجتمع والإنسان، جرد نقدي وتحليل إبستمولوجي في الجذور اللغوية والدلالات المفاهمية. جزء 2 أعلام**. الجزائر: منشورات جامعة باجي مختار-عنابة.

3- بوخريص فوزي (2013). **مدخل إلى سوسيولوجيا الجمعيات**. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.

4- حمداوي جميل (2015). **نظريات علم الاجتماع**. المملكة العربية السعودية: منشورات شبكة الألوكة.

5- حمداوي جميل (2019). **علم الاجتماع بين الفهم والتفسير**. https://www.b-sociology.com/2019/04/pdf_13.html

6- ساقور عبد الله (2009). **محاضرات في علم الاجتماع المعاصر، مقاربة ببليوغرافية**. الجزء الأول، الجزائر: منشورات جامعة باجي- عنابة.

7- فؤاد خليل (2008). **المجتمع، النظام، البنية، في موضوع علم الاجتماع وإشكاليته**. بيروت: دار الفارابي.

8- ماكس فيبر (2011). **مفاهيم أساسية في علم الاجتماع**. ترجمة صلاح هلال، القاهرة: المركوز القومي للترجمة.